

# النشاط الثقافي في الغرب

الفاصين» . والواقع ان روايتها الاولى كانت تكشف عن لهجة خشنة، فيها خيبة وفيها نزعة للانتقام . يشتهر بها كتاب مسا بعد الحرب الانتقاديون الذين كانوا يكونون فحبا متناقضا للمجتمع الذي كانوا يجدونه، مع ذلك ، مريحا ومترفا . فان أبطالها الاولين كانوا كالثيبان الفاصيين ، محطمي ايقونات اكثر منهم ثوريين . لقد كانوا يعيشون عيشة مريحة ، في فرق صغيرة من الفنانين والسينمائيين ، ويتبادلون رفيقاتهم في مزيج من الحيوية الحيوانية والحزن الخائب . وكان مهمهم الاكبر الا يكونوا مخدوعين . ولقد كانت الاوهام المثالية والظاهرة والثقافة والمواظف الكبيرة مرماهم المفضل .

وتتميز كتابات ميوردوك بنزعة واضحة لمناهضة الرومانتيكية . وهي بالمقابل مفرمة بالالات والتكنيكات ، وفي رواياتها كثير من الدوامات والعجلات والدواليب والحبال التي تتقطع . هذا الميل الى الاشياء والحذر من الافكار هما الطريقة الجديدة ليكون الانسان يساريا ، طريقة جيل راي الى اين تفضي البلاغة الايدولوجية التي كانت عزيزة على اليساريين في الماضي . ان الاتلات والدواليب هي اسلحة نزعة للحياة تفضل للذات الاشياء على الحماسات النظرية .

ورفض الوهم المثالي يتخذ لدى ايريس ميوردوك معنى اعمق . فليست القضية هي فقط الاستمتاع على حساب التقاليد والمواظفات، وانما هي تحرير الروح الانسانية .

وقد سبق لقراء روايات ميوردوك الاولى ان اكتشفوا ، تحت احداث المفامرات ، تأملا فاجعا عن « الموت المستمر للزمن » ، وتسلطا للمرضي وتدقيق الاشياء ، وذلك يعزى الى التفكير الظاهراتي والسلي الحساسية النسوية في وقت واحد . وتعتبر ايريس ميوردوك ، باشكال مختلفة ، عن رغبة شبيهة برفية فيرجينيا وولف بانقاذ اللحظة ، وبمنع الوهي من تجسيد الحساسية ، ومنع النظام من استعباد الكائن . وفي هذه الرواية « الجرس » ( التي ترجمت الى الفرنسية بعنوان « مياه الاتم » ) نرى دورا ، البطلة الرئيسية ، تترك حقايتها لتلتقط فراشة، وهذا رمز يعود للمرة الثالثة في انتاج الكاتبة ، ثم تلحق حذاءها وجوربها ، لتقوم بوصال شهواني مع الارض . وهنا تختلف ايريس ميوردوك عن فيرجينيا وولف التي تستجيب لفساد الجمالية والموت الرومانتيكيين بان تهرب من « السحر » ، كما يبدو ذلك من عنوان روايتها الثانية . فبينما نجد لدى فيرجينيا وولف ماء جاريا مفرط النقاوة ، نجد لدى ايريس ميوردوك مستنقعا آسنا ، بشريا ، مفرط البشيرية .

ورواية « الجرس » هجاء ساخر لافكار «الخير والشر» الميتافيزيقية، وللانم والفضيلة ، وكلها رواسب اخلاقية مسيحية مستديمة ما تزال تنكس الضمائر الحديثة .

ففي للال دير بندكتي ، نشأت جماعة صغيرة من المثقفين الذين يعانون مرضي الروحانية . وقد انفصلوا عن العالم وراحوا يعيشون في النقاوة ، ويطهرون ارواحهم بانشاد الحان لباخ . وكانوا متحمسين لقربهم من الدير ، مما زهدهم بالشيطان واعماله ، اي بانفسهم . لقد زيفوا كل كيانهم ليجسدوا « الفضائل » في « باليه » مدهش يقوم به « مخبولون » : الحاكم والنادم والتقي والموسيقي . ولكنهم لفرط حرصهم على ان يكونوا ملائكة ، اصبحوا وحوشا . فسان العواظف المهووسة التي تكتبها تلك الظاهرة الفسالة ، ما تلبث ان تنفجر في سلسلة

## انكلترا

رواية انكليزية « وجودية » ...

\*

تعتبر الرواية الانكليزية المعاصرة ايريس ميوردوك Iris Murdoch افضل روايتي جيلها . وقد صدر لها حتى الان اربع روايات كان اخرها « الجرس » The Bell ، وربما كان افضل انتاجها . وهذه السيدة الوقور تشر بكتابتها اكبر مشاعر الدهشة والفضيحة ، وهي استاذة فلسفة في جامعة اكسفورد ، وتعتبر رواية وجودية . فهي تخفي تحت الاشكال التقليدية للرواية الانكليزية نوعا من « اخلاقيسة الالتباس » يضع المتفجرات تحت الاخلاق الفاضلة . غير ان مخلصها وروح النكتة عندها ، ونزعة المحسوس ، كل ذلك قد اعطى الرواية الوجودية شكلا جديدا .

وقد صنف النقد الانكليزي ايريس ميوردوك في فئة « الشبان



# النشاط التثايفي في الفسرب

سارتر يهتم اهتماما حادا بالناصيل الحسية في الحياة المعاصرة ، ثم هو يملك رغبة مهووسة في بناء خطوط رمزية ترضي الفكر . ولكنه (... ) لا يعتبر النشر الروائي الا كاتلة للتخيل . وهو لا يرى ان على هذا النشر ايضا ان يخلق صورة كلية وغير قابلة للتصنيف . «  
وهذه الصورة هي التي تعطينا اباهما ايريس ميوردوك . ان الفكاهة قد انقذت الوجودية في روايتها ، وبالمقابل ، فان الوجودية قد ردت للحس الفكاهي الانكليزي كل حدته القديمة . فبعد سنوات طويلة من الانقلابية بين يدي امثال شاسترتون وافلين ووغ ، تعود الفكاهة الانكليزية فتصبح شيئا خطرا على الاخلاق الفاضلة (1) .

## فرنسا

### حمى موسم الجوائز ...

\*

بعد فترة « الموت » الادبي التي تدوم كل سنة طوال اشهر الصيف الثلاثة ، تأتي فترة « العودة » الادبية لتمهد « للموسم الجديد الذي يبشر بقرب اعلان الجوائز الادبية الكبرى .

وهذه العودة تعني ثلاثة اشهر من المناقشات والمنازعات والهجمات وثورة الاعصاب والانتظار . انتظار مواهب جديدة تحملها كتب جديدة ، قد يكون مؤلفوها معروفين وقد لا يكونون . وفي هذه الفترة تنشط دور النشر لاجراج اكبر عدد ممكن من كتبها ، وترتفع نسبة الكتب الصادرة في هذه الاشهر الى ذروة النشاط التشري . فقد اصدرت دار غاليمار مثلا ، في شهر ايلول الماضي وحده ، خمسة وعشرين رواية ، واصدرت دار جوليارد ثمانين عشرة . اما الدور الاخرى ، كدار سوي او غراسيه ، فقد اكتفت بست اوسبع روايات لمدة فصل الخريف . وبين اواخر آب ومنتصف تشرين الاول ، تكون خمس عشرة دارا

(1) هذه الدراسة كتبها جاك كابو ونشرت في مجلة « اكسبرس » بالشهر الماضي .

من الفترات البهلوانية تكشف تحت النعيم الشخصي جحيما فخما ينفل فيه السفاح والسدمية والزنا والفورور وجميع الحرمات المسيحية . وهكذا تنهار هذه الجماعة ، التي تفرط في طلب الفضيلة ، تحت تأثير دوار نقاوتها ، فتسقط في مياه الائم الثقيلة . ولا ينجو غير دورا ، الائمة ، التي كانت ترفض اليمان بالخير والشر ، بالرغم من استنكار الفاضلين ، لانها ترفض عبودية النقاوة . انها تتبع دروب حريتها الوعرة ، حريصة على الاتفقد شيئا من نفسها ، وعلى ان تتذوق كل شيء وكل لحظة .

اما « اخلاقية الانتباس » فتجد رمزها في الماء الاسن الثقيل الذي يعبر الرواية كلها . انه وجود مائي منسلط يذكرنا دون انقطاع بانتباس الحياة نفسها . ان هذه ابياه العميقة ليست حطرة الا بالنسبة لمن يصاب منها بالدوار وهو متشبت بفضيلته الانبشيرة . اما من يعلم السباحة ، كدورا ، ويفطس في هذا الماء من غير ان يخشى ان تتسخ يده ، فان ماء الائم يحمله الى شواطئ اخرى من نفسه ، اجمل واهدا .

وبالطبع فان هذه الاخلاقية السارتريه ليست مبذولة بطريقة تقزيرية ، وانما توحيتها رموز الاحداث . فالاشياء هنا تزن اكثر مما تزن الافكار . والحق ان هذه رواية اسفنجية ، ممثلة بالاحساسات والاجواء والاصداء . فالانسان وعواطفه ، والارض وثمارها ، والسمماء واجواؤها ، تمتزج في حقيقة قد اعيد تأليفها ، فكان كل شيء فيها وكل حركة واقفا ورمزا ، بحيث ان هذا العالم لا يشرح بالعودة الى معالم خارجية ، وانما يشرح من نفسه وبنفسه . ولا ريب في ان خلق عالم صغير كهذا ، وتحريك شبكة من العلاقات معقدة الى هذا الحد ، انما يكسبان عن فن بارع اصيل .

قد تحكم الرواية البسيكولوجية العمودية على هذا الكتاب بسانه مفرد الكثافة والفني . ولكن الرموز المندمجة اندماجا حسيما بالحركة المدومة لا تلقي عليه اي ظلام او غموض . وهكذا فان « الجرس » هو في وقت واحد قلب للرمز ومحرك للعمل . انه شيء واقعي نصيبه ونجده مرة اخرى ، وهو يسقط في الماء ، ثم يخرجونه من الماء ، ويستعاض عنه بسلسلة من الحوادث نصف الشعرية ونصف البهلوانية التي تكشف عن ان موهبة ايريس ميوردوك تلعب على جميع اوتار الفكاهة ، ولاشك في ان الاستعاضة عن الاجراس وعن فديستها بمنظر الكاهن وهو يركب سيارة « رولزرويس » فخمة ، انما تنتهي السى ابرز خطوط الرواية الانكليزية اللاواقعية . واستخراج الجرس من الماء ينتهي بمنظر عجيب : هو منظر الحيين المتعاقبين اللذين يسقطان بسبب من قلة الحذر ، في هذا الجرس نفسه ، ويستيقظ اهالي الدر على صدى المناقشات الفرامية عند البرونز المقدس ! ثم يصير هذا الجرس ، الذي اصبح ماوى للائم ، الى مكانه الحقيقي : المتحف ! لقد اعترفت ايريس ميوردوك بجمال هذا الجرس ، ولكنها اوحث لنا في الوقت نفسه ، بانه لم يوضع في المكان الملائم ، شأنه في ذلك شأن « كنيسة الخير والشر » وهكذا تكون صيحة هذه الرواية « الفاجرة » التي لا ينبغي ان تقع في ايدي الاتقياء : ضموا الاجراس في المتاحف !

ولا ريب في ان روح الفكاهة الانكليزية ، بالنسبها الطبيعي ، تخدم تماما « اخلاقية الانتباس » . وهذه الروح الفكاهية هي التي اتاحت لايريس ميوردوك ، اكثر مما اتاحت لها النزعة الرمزية ، ان تنجح في كتابة هذه الرواية الوجودية التي لم يصدر مثلها سارتر ولا سيمون دو بوفوار ، ربما لانهما تومزهما بعض الروح الفكاهية ، اي هذا الميل للحسي وللنسبي الذي يجهب جميع المحاولات النظرية للفكر الرصين . وقد سبق لايريس ميوردوك ان كتبت في دراستها عن سارتر : « ان

### صدر حديثا :

## رسائل مؤرقة

احدث ديوان

للشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

منشورات دار الاداب

# النشاط الثماني في الغرب

هذا قبل منح الجائزة ، اما بعدها ، فان الجائزة توشك ايضا ان تجرح الرجل . فهو حين يحصل عليها ، يصبح معرضا للتعود على الحياة المترفة السهلة ، وعلى عدم الاكتراث . اما اذا لم يحصل عليها ( وهذا ما يحدث ٩٥ بالمئة عادة ) فان ذلك قد يدفعه الى المرارة والنقمة والزهد .

واما بالنسبة لاصحاب دور النشر ، فربما كان الخطر ادق والمسؤولية اكبر مما لدى المؤلفين . فانهم يدخلون لمدة ثلاثة اشهر في « مرض الطباعة » الذي تنأثر به جميع مرافق المهنة ، فكل شيء يجري كما لو ان دار النشر تفكر في خلق « جمهور » مسبق ، فتشتغل له وتدفع مؤلفيها الى الاشتغال له . وهي تمارس هنا ضغطا معيناً على لجان التحكيم .. وتواجه مشقات وصعوبات في اختيار المرشحين الجدد للجوائز .

اما بالنسبة للقاريء ، فان الجوائز تجعله في حيرة ، وتقيمه على حذر ، فينتظر رأي النقاد ، ولاسيما النقاد المستقلين الذين لا يمتنون بصلة « الصداقة » لدور النشر .. ولكنه يظل خاصصا للتأثر بأرائهم في آخر المطاف ، ويقبل على شراء الكتب التي يمدحونها ويشنون عليها . وهنا تبلغ الحمى درجة الاربعين !

## المانيا

(( طبل )) غانتر غراس

\*

صدر اخيرا كتاب « الطبل » للروائي الالمانى غانتر غراس ، الذي يعتبر في طليعة الادباء الالمان المعاصرين . وقد بدأ النقد يتحدث عن هذه الرواية بانها من امهات الكتب الحديثة في الادب الالمانى المعاصر،



وهي على اي حال من هذه الكتب النادرة التي تخلف قراءتها اثرا عميقا في الفكر والحس . وميزتها الاولى هي انها تهدم آلية التفكير اي اللغة .

للنشر في باريس قد نشرت لما يقارب مئة وخمسين كتابا روائيا جديدا ( ويدخل في هذه الفئة جميع ادباء الخيال والطموح الذين تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشرة والستين والذين يصدرون اول كتاب لهم او الذين لم ينالوا شهرة واسعة بعد ) . وفي هذه الاشهر الثلاثة ، يبرز الادب بهذا الشكل المستعجل ، التجاري ، الصاخب ليحتل المكانة الاولى من اهتمام الناس ، فتتحدث عنه الصحف والاذاعة والتلفزيون ، ويؤمل الناشرون ان تحرز كتبهم جائزة من جوائز اواخر العام الحالي واوائل العام الجديد ، هذه الحقيقة التي يحققون فيها ٤٠ او ٥٠ بالمئة من ارباحهم السنوية . فما الذي يشرح او يبرر هذه الحمى في هذه الفترة العام ؟ ان المفروض الا يجد الكتاب تشيما خاصا في اعقاب العطلة الصيفية وعودة الطلاب الى المدارس والفرايب في تشرين الثاني ..

الجواب : انه عهد الجوائز الادبية . فليست هناك ظاهرة طبيعية « للعودة الادبية » ، وانما هناك فترة ، مصنعة تماما ، للتمهيد الكثيف للجوائز ، وهنا تتجمع الظواهر البيكولوجية والفنية والاقتصادية ، وعلى هذا النحو يجب ان تفهم القضية .

فلنفرض ان فلانا اصدر كتابا قبيل هذه الفترة . فاذا كان مخطوطا باع من كتابه بضع مئات او بضعة الاف ، ولكنه اذا ربح جائزة ، ارتفع مبيع كتابه الى زهاء خمسين الف نسخة ( اذا كانت الجائزة جائزة « الانترالييه » ) او الى ثمانين الفا ( اذا كانت جائزة رينودو او حتى الى ١٥٠ او ٢٠٠ الف ( اذا كانت جائزة فيينا او غونكور ) . اما حقوق التأليف ، فان كاتبنا يحصل منها على ما لا يقل عن عشرة ملايين فرنك ( زهاء ستين الف ليرة لبنانية ) ويرتفع هذا المبلغ بالطبع اذا ترجمت روايته واخرجت في السينما . واما دار النشر ، فالرجح انها تبيع اكثر مما يبيع المؤلف دون شك .. فالامر ، كما يبدو ، يستحق الاستغراق في الاحلام !

وبوسعنا ان نفهم اسباب تشوق المؤلف الى نيل جائزة : فهو يرغب في ان يكسب فجأة جمهورا قارئا ، ويود ان يكف الادب عن ان يكون بالنسبة اليه نشاطا « شرفيا » قد يفري ويشر الفرور ، ولكنه يظل شبه مجاني . هو ينسى ان جمهورا قارئا يكسبه عاما ، سيخسره بسهولة في العام التالي : فكم هم المرشحون لاحدى الجوائز الذي راوا كمية المطبوع من احد كتبهم ترتفع من ٣٠٠٠ نسخة الى اكثر من ٢٠٠ الف ، ثم تهبط من جديد الى ٣٠٠٠ نسخة من الكتاب التالي .. ان تنساجا ما لا يمكن ان يفرض بصورة مصنعة على جمهور ليس هو جمهوره . اما كتاب ما ، فهذا ممكن . فالقراء لا يهبطون من السماء ، وانما يستحقهم المؤلف استحقاقا ، مع الزمن ، وعلى قدر الجهد والبذل . نستطيع الجائزة ان تمارس تأثيرا قويا حين تتوج كاتباً سبق له ان اشتهر ولكن كمية المطبوع من كتبه لم تكن تبلغ الحد الذي يبرره تقدير النقاد والقراء . فلا شك في ان الجائزة تحمل لهذا المؤلف شهرة يستحقها وترفعه الى مستوى من النجاح يستطيع اخيرا ان يتماسك فيه . وجوائز « التكريس » هذه هي اكثر الجوائز جدوى ، واكثرها « اخلاقية » اذا صح التعبير . وقد افاد منها امثال سيمون دوبوفراد وجوليان غسراك وروجيه فايان . ولكن الجوائز « التي تقتل » هي اكثر من ذلك بكثير . والواقع ان لها عدة طرق لقتل كاتب ولتخطيمه .

فهي اولا قد تدفعه الى كتابة نوع من الادب ( الرواية ) لا يسدع فيه دائما ، وهي تحثه على ان يفرغ من كتابه في وقت محدد يسبق فترة التنافس الخريفية ، ثم انها تفدي لديه مطامع واوهاما ليست لها مبررات وجيهة .

## النشاط التثقيفي في الفسرب

ويولد اوسكار تحت نظر القاريء ، يولد بالتاكيد ، ولكنه لا ينمو ، لان هذا الصبي الصغير حتى العشرين من عمره يظهر بمظهر طفل في عامه الثالث . فهم يحملونه ويرنون له وينسونه . وهو يذهب حيث يشاء ، ويعطل اوسكار طيلا كل خمسة عشر عاما ، وحين يطلق صرخته ترتعش زجاج النوافذ ، وقبة المسرح ، والواجهات التي تغلق الحوانيت ، وشبابيك الكنيسة . واذا تحرك جمع البالغين الكبار فان اوسكار هو الذي يكون تحتهم ، ينظم الحركة على ايقاع طبله . وهو يكتشف تجارة النساء في الوقت نفسه الذي يكتشف فيه وجود المسيح . ويشارك اوسكار في الدفاع عن دانزيغ ، ويجتاز أوروبا . وهكذا يصبح اوسكار ، بواسطة الكتابة ، نواة ذرة عملاقة .

ذلك ان اوسكار انما يكتشف بالكتابة العالم في الوقت السذي يكتشف فيه نفسه . ولكن فكاهة هذه اللغة المألوفة لا تتيح للقاريء ان يكتشف اوسكار . فان اوسكار غير موجود ، او هو بالاحرى لا يوجد من دون الراوي الذي يمسه ، والمؤلف هنا لا يمضي قط بلا بطله . وما لا يستطيع الراوي ان يراه ، يريه اباه اوسكار وحيث لا يستطيع الراوي ان يذهب ، يقوده اوسكار . فاذا هذا الراوي ، جاء التمرد من اوسكار . وهكذا فان اوسكار ، الشخصية المسوخة بالمخيلة ، الشبيهة بحشرة ، يهدم شيئا فشيئا بواسطة الكلمات البناء كله الذي يبنيه الراوي امامه كلما تقدم خطوة .

تلك هي الافكار والصور التي توحىها قراءة هذه الرواية العجيبة التي فرض بها فانتر غراس نفسه كواحد من ابرع روائي المائيسا المعاصرين .

وبوسع القاريء ان يقارن هذه الرواية بآثار ستيرن ، ولا سيما روايته « تريسترام شاندي » ، من حيث جاذبية التجديف والدعارة او المواقف الفرامية ، والقوة وروح الفكاهة ، وفي الوقت نفسه الدقة التاريخية في الفوضى الظاهرة في تسلسل الاحداث . وقصة وجود البطل اوسكار وقصة وجود الراوي هما احيانا متحاذيتان وحيانا اخرى متزاكبتان . فهما في وقت مؤلف وممثل ، وراو وبطل . غير ان اختلافا واحدا ، هو ان اوسكار ليس مصنوعا على صورة البالغين الذين يحيطون به . وتفردته يكمن في انه غير ناجز ، صبي مسخ يمتاز بانه يرى ويعمل من غير ان يستطيع البالغون ان يمسخوا بهذه الرؤية او بذلك العمل . ثم ان اوسكار لا يهدم فيما حوله تنظيم الكائنات والاشياء ، بل هو لا يروي حتى ما يراه . ان ما يحدث في « الطبل » هو ما يحدث في ذهن اوسكار . وعلى هذا ، فان مفارقاته مفارقات ادبية .

وفي مطلع الكتاب ، يكتشف القاريء اوسكار وهو متمدد على سرير الغرفة التي ينزل فيها في مستشفى للتطبيب النفسي . والى جانبه شيء واحد : طبل من طبول الصبية ، احمر وابيض ، من الحديد المصنوع ، وهو لا ينقطع عن التطبيل به ، وفي ذلك اليوم ، يعزم اوسكار على كتابة رواية . ويطلب الورق اللازم ، ويبدأ في الكتابة . ويكتب ، كل ضربة عصا على الطبل تحرك اشخاص الرواية بالطريقة نفسها التي يحرك بها الساحر دماه . وابتداء من الاغنية الطفولية ، حتى النشيد العسكري ، يظهر اجساد اوسكار وعائلتي ، وسكان دانزيغ ، واخيرا جيوش الحرب العالمية الثانية . ان هذا الطبل يحرك الكون كله . واذا ذلك تنتظم الكلمات في عبارات ، والعبارات في فصول تتتابع

## أصوات

مجلة تصدر أربع مرات في السنة  
للثقافة والأدب والفن  
مجلة كل مثقف

يمكن الحصول عليها من كبريات المكتبات في جميع أنحاء العالم العربي

تصدر عن :

ULP

UNIVERSITY OF LONDON PRESS LIMITED  
WARWICK SQUARE  
LONDON, E.C.4